توحد المصريين من أجل إشراقة التحضر
فى ما قبل الأسرات والعصر العتيق

خالد إبراهيم عبد المنصف هجرس•

كيف تغلب المصرى القديم على الصعوبات: كانت مصر فى عصر ما قبل الأسرات ما بين الإستيطان البشرى وحتى بداية عصر الأسر، وجدت آثار تدل على إستقرار بعض السكان فى هذا الوقت فى مناطق صحراوية فى مصر العليا، وخلفت آثار تدل على إستقرار ثقافى، وتواجد قوة سياسية كبيرة، والتى كان العامل الذى أدى إلى إندماج أول مملكة موحدة فى مصر القديمة، حيث تعود إلى هذه الفترة أقدم الكتابات الهيروغليفية المكتشفة، وبدأت تظهر أسماء الملوك والحكام على الآثار، وكان هناك تقسيم كبير فى هذا الوقت يذكر صعيد مصر السفلى، وبعد ذلك هزمت قوات الجنوب وعلى رأسها الملك "نعرمر" قوات الشمال مما أدى إلى وحدة كبيرة على أرض مصر[1].

محور دراسة البحث: تطور العوامل السياسية والدينية. أهم العوامل لبناء دولة وتكوينها. نظام وسيطرة الحكم فى توحيد المملكة. ظهور أول أسرة ملكية تحكم مصر كلها. تأثير الإضطهاد الدينى والسياسى على الحكم.

من المعروف أن الدين والسياسة مرتبطان ببعضهما أشد الإرتباط، وخاصة في مصر القديمة حيث كان الملك يجمع فى يده السلطة الدينية والسياسية والعسكرية، فهو المغوار في ساحات الحروب وهو الكاهن الراكع مقدم القرابين للإله، والمسئول عن أمن مصر وآمانها وتحقيق الهدوء والسلام على ربوع واديه. إزداد الصراع الدينى السياسى بطبيعة الحال في فترة التكوين الأولى للحضارة المصرية، حيث كانت العصبيات والإنتماء لقرية أو مدينة بعينها وبالتالى إلى زعيمها ورمزها الذى سريعاً ما يتحول إلى إله محلى. ورغم عدم وضوح الصورة كاملة في تلك الفترة إلا أن لدينا من الأدلة الأثرية ما تشير إلى تلك المرحلة من النزاعات الدينية السياسية. ومن أهم آثار تلك الفترة الصلايات مثال صلاية الليبيين، وصلاية الأسود، وصلاية نعرمر. وفى عصر الأسرات نجد اتضاح الأمور أكثر، وقد تأكدت فى تلك الفترة صورة الملكية وصورة إنتقالها من الأب إلى الإبن منعاً للخلاف، وتأكيداً على قصرها في بيت مالك محدد وصف من فيه بخاصية الصفة المقدسة التى لا تناسب الإختلاط بمن دونهم.

الصراع الدينى وأثره على الأوضاع السياسية في العصر العتيق والدولة القديمة، قضية الصراع ما بين أتباع حور وست، ألوهية الملك في العصر العتيق كما ظهر الإنحياز للآلهة الظاهر من دراسة الأسماء الملكية، ووجود قبرين لملك واحد وما يدل عليه من

• باحث بدرجة الماجستير، بالدراسات العليا، كلية الآداب، قسم التاريخ المصرى القديم، جامعة المنوفية.

[1] ب.ج.تريجر، وآخرون، *مصر القديمة التاريخ الإجتماعى*، ترجمة، لويس بقطر، مراجعة، مختار السويفى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، المشروع القومى للترجمة، العدد (131)، 2000، ص 60.

إسقاط سياسي يدل على إنتماء إلى ابيدوس، أصل ملوك الأسرة الثانية ومشاهد الخلاف الدينى مثل التعصب للآلهة بعينها كحورس وست وأثر ذلك على الخلاف السياسي، قضية النزاع المفترض بين أبناء خوفو والدلائل عليه، أصل ملوك الأسرة الخامسة وصلتهم بإله الشمس رع، مظاهر الأضطراب في نهاية الأسرة الخامسة. فبدأ الصراع الدينى منذ بدء تكوين الجماعات وإنضمام الجماعات المهزومة للجماعات المنتصرة تحت لواء إلاهها، وتكوين القرى ثم المدن ثم الأقاليم ثم شطرى الشمال والجنوب ثم الوحدة، وتحت كل هذه التكوينات كان هناك نوعاً من الإنتماء الدينى والتعصب الذى نشأ أيضاً مع نظريات الخلق المعروفة وهم "أون" و"منف" و"الأشمونيين" و"طيبة"، والتى انتشرت فى عواصم مصرية حاول المنتمين لهذه النظرية أن يعلوا بشأن إلاههم فوق آلهة النظريات الآخرى، وهذا نوعاً من "الإنتماء" فى تلك النظريات، والتى يبرز فيها أيضاً التعصب للإله الرئيسى مثلما حدث بين نظرية أون ومنف، والتى يظهر فيها أن الإله "رع" أو الإله "آتوم" ما هو إلا لسان الإله "بتاح". ومع بداية العصر العتيق برزَ التحيز والتعصُب لمعبود على حساب آخر بين الشمال والجنوب، وقد حاول بعض الملوك تهدئة هذا التعصُب فى فترات والبعض الآخر تعصَب لما يعتقد، وهكذا استمر الحال عبر العصور المصرية القديمة بين "إنتماء" تارة و"تحيُز" و"تعصُب" تارة أخرى إلى أن تحول إلى "صراع وصراع مضاد". وكان هذا الصراع سبباً إما فى نهاية دولة أو أسرة على أقل تقدير، والسقوط فى عصور الإنتقال مما كان له أبلغ الأثر على مصر (سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً وعقائدياً وفنياً) والتى عانت مصر فيها فترات من الضعف والوهن. ودور الصراع الدينى فى إنقسام البلاد والعودة إلى ما قبل الوحدة. ومن ذلك أن تلك المظاهر لم تتكون على أساس دينى وإنما على أساساً سياسياً ويوظف لصالح فئة على حساب أخرى ومعابد على حساب أخرى سياسياً وإقتصادياً ومعمارياً وفنياً دون أن يؤثر هذا الفكر في المجتمع المصرى بعقيدته الراسخة.

وهذا الصراع لو أنه مُثِل بيانياً، لوجدناه على شاكلة الأهرامات التى شيدها المصرى القديم، حتى تحولت فى النهاية إلى هرماً ضخم بحجم الهرم الأكبر، فكان يبدأ الصراع من القاع صاعداً تدريجياً، ثم يهبط أيضاً تدريجياً إلى القاع، ثم إستقرار ويعود إلى الإرتفاع تدريجياً، حتى كون عدة أهرامات وفى النهاية كون هرماً كبيراً. وعملوا على العودة إلى ما كانت عليه الأمور سابقاً والإستقرار نوعاً ما بالبلاد، إلا أن الأمور لم تسير على قدماً وساق فبدأت تسوء الأوضاع والصراع باسم الدين مرة أخرى على العرش.

مرحلة الإستقرار وتكوين الجماعات التى كانت نواة الأقاليم[2]**:** مع بدء التكوين بدأت المعتقدات الدينية، والتى إنضوى تحت لواءها أسر ثم جماعات ثم عشائر وقبائل، وبدأ التعصب وكان مظهره أن كل جماعة كان لها معبود، وكلما توسعت وإستولت على منطقة جيرانها إنضم المهزوم تحت لواء الإله المنتصر، ثم ما لبثت أن تكونت القرى فكانت كل قرية تنتمى إلى معبود ثم كل مدينة ثم كل إقليم، وكلما إنتصرت قرية على أخرى أو مدينة أو إقليم على آخر إنضوى المهزوم تحت لواء الإله الخاص بالقرية أو المدينة أو الإقليم وبذلك كان أول بزوغ للإنتماء والتعصب فى مظاهره الأولى.

دور النيل فى وحدة مصر وتأسيس العاصمة: كان لنهر النيل دوراً رئيسياً فى تكوين الحضارة المصرية، فأدرك الإنسان ضرورة التعايش معه لإكتشافه أنه أكثر عناصر البيئة تأثيراً فى حياته للتحول من مرحلة الجمع والإلتقاط إلى مرحلة الزراعة والإستقرار، لأنه مصدر المياه الرئيسى فى مصر[3]، ومجراه من جنوب البلاد لشمالها ويربط أجزائها ببعضها.وهو سبب قيام الحضارة على أرض مصر[4].

عصر قبيل الأسرات والمحاولات فى توحيد البلاد: وكان هذا أيضاً يُمثل عن طريق العامل الدينى وظهر لنا هذا فى عدة صلايات تفيد الملك وإنتمائه للآلهة، وإخضاع مملكة الشمال للجنوب بتأييد من الآلهة وذلك مُثل فى صلاية الملك "نعرمر" التى برز فيها الصقر "حورس" يخضع الدلتا لحكمه والوجه الثانى الذى يُمثل إحتفاله أيضاً بالنصر فى معبد حورس، وهذا يُمثل إنتصاراً للجنوب على الشمال وإخضاعهم مما يجعل معبود الجنوب وهو المعبود الرئيسى للدولة شمالها وجنوبها.

مراحل التكوين السياسى قبل اتحاد القطرين وتكوين أول مملكة متحدة: بدأت التجمعات السكانية الكبيرة نسبياً تستقر على ضفاف النيل إبتداء من العصر الحجرى الحديث، واقترنت عوامل الإستقرار هذه بعامل الزراعة والرى والتعاون فى إستصلاح الأراضى، وبدأ يربط بينهم عامل المصالح المشتركة وأخذت تلك الجماعات فى التوسع لإقامة المساكن فى المناطق البعيدة عن الفيضان، وبدات تتجمع فى قرى صغيرة وبعد ذلك اندمجت تلك القرى مع بعضها بعضاً وأدى ذلك إلى تكوين الأقاليم، ثم أخذت تلك القرى الكبرى تتحول إلى ما يشبه المدن، وظهرت بعض المدن التى كانت تتمتع بنوع من القداسة الدينية، ومرت هذه الأقاليم والمدن بأوضاع شتى من ناحية التكوين السياسى

[2] Moret, A., *The Nile and Egyptian Civilization*, trans, by Dobie, M. R., London, 1972, p. 38.

[3] فتحى حسن مصلحى، *تطور العاصمة المصرية*، القاهرة 1988، ص 23.

[4] عبد العزيز صالح، *حضارة مصر القديمة وآثارها*، ج 1، القاهرة 1992، ص 241.

حتى انتهى الأمر بتوحيد البلاد كلها وساد حضارتها طابع واحد متجانس[5]. وفى فجر العصور التاريخية، أصبحت مصر مقسمة إلى عدة أقاليم صغير، قد ظهر على الألواح الصغيرة من السشت، مناظر لبعض الأشخاص يحملون الصوارى والأعلام التى كان يعلوها رمز، وهذه العلامات والدلالات نجدها فى العصور التاريخية كرموز للأقاليم المختلفة، دليل على معرفة النظام الإدارى. قامت فى بعض الأقاليم ممالك هامة وبيوت قوية، وكانت لها عواصم أو مدن رئيسية، ففى الدلتا يبدو أن عدداً من الملوك أو الحكام قد حكموا قبل تأسيس الأسرة الأولى[6]، وقد حاول بعض الحكام بسط النفوذ[7]، وضم الأقاليم الأخرى الصغيرة تحت لوائها[8]. وكانت مراحل التوحيد السياسى لأقاليم مصر فيما قبل الأسرات عديدة ومتنوعة[9]، وقد شملت مراحل التطور السياسى والإدارى أيضاً تأسيس بعض المدن ذات الأهمية السياسية والإدارية أو التى تمتعت بقداسة دينية أو التى تمتعت بموقع متوسط مثل مدينة منف[10]، وكان يحيط بالملك بعض كبار رجال الدولة والنبلاء، وتطورت تبعاً لذلك نظم الحكم والإدارة، كانت فترة تكوين حضارى فى مختلف المجالات وعندما تم توحيد البلاد لم يكن ذلك إلا نتيجة طبيعية لتلك القرون الطويلة من التطور والإعداد، سادها الكفاح المستمر والقدرة والتصميم والفكر منظم البناء[11]. وقبل اتحاد القطرين كان النزاع متكرر بين الجنوب والشمال، وقد تغلب الجنوب على الشمال، وكانت العاصمة السياسية لملوك الصعيد هى هيراقونبوليس[12].

---

[5] عن مراحل التطور السياسى قبل قيام الأسرة الأولى، راجع ، رمضان عبده، *حضارة مصر القديمة، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية*، العدد 41، الجزء الأول 2004، ص ص 296- 300.

[6] هؤلاء الملوك عثر لهم على آثار نادرة، وعرف بعض أسمائهم ولا زالت فى محل جدل، راجع، عبد الحميد زايد، مصر *الخالدة*، ص 151؛ ويعطينا فون بكرات أسماء ملوك حكموا فى عصر ما قبل الأسرات، هم العقرب، كا، نعرمر Von Beckerath, in *LÄ*, III, p. 542-543; Kaiser, *ZAS* 86 (1961), p.39-61.

[7] عبد العزيز صالح، *حضارة مصر القديمة*، ص 181.

[8] Geoffrey Graham, "Insignias", in: Donald B. Redford (ed.), *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*, 3 vols., 1st ed. (New York-Oxford; Cairo: AUC Press 2001) 163-167; Silvo Curto, "Standarten", *LÄ* V, 1255-1256; Wolfgang Helck, Gauzeichen, *LÄ* II (1977), 422-425.

[9] منها نقوش الصلايات ومقامع القتال ومتون الأهرام، وتبلغ ثمان مراحل، عبد العزيز صالح، *الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق*، الجزء الأول ،1979، ص 58-61؛ عبد الحميد زايد المرجع السابق، ص 105.

[10] باسكال فيرنوس، جان يويوت، *موسوعة الفراعنة (الأسماء والأماكن والموضوعات)*، ترجمة محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط 2، 2001، ص 250-252.

[11] Sethe, *Beitrage Zur altesten Geschichte Agyptens* (Unters III), p. 17; Petrie, *Royal Tombs*, I, p. 3-4, pl, 37, t. II, p. 2-4, pl. 7-22; Kaplony, *Die Inschriften dre Agyptischen Fruhzeit*, t. I, p. 3; Baumgartel, Predynastic Egypt, in *CAH* (1965), p. 3-63; Id., *The Cultures of Prehistoric Egypt*, London 1955, p. 14-20.

[12] Quibell, *Hierakonopolis*, I, (1900), p. 19;

بداية ظهور الشارات[13] منذ حضارة نقادة الثانية على نقش الأوانى الفخارية فى مناظر المراكب[14]، وتظهر أسماء وألوية ترمز للمعبودات مثل "نيت" و"مين" وغيرهما، وكانت هذه المناظر تسجل أعياد وإحتفالات، وكان يظهر فى أنماط مختلفة تمثل أشكال رمز لجبل مثلثين أو أكثر، صنارة، عصا بوميرانج، رموز حيوانية، غصن مورق، قرص الشمس، طيور، فيل، وشعارات أخرى. وكثيراً من هذه الأنماط تشير إلى أسماء المدن فى العصر الفرعونى، ربما تدل على أسماء المقاطعات أو المدينة، التى تنتمى لها المراكب[15]، وربما كانت الرأس الأدمية من حضارة مرمدة بنى سلامة[16] (من حوالى 5000 إلى حوالى 4100 ق.م) وهى من الطمى المحروق ربما تستخدم فى الأغراض والطقوس الدينية ولها ثقب من أسفل لسهولة حملها على الحامل الخاص بها، وارتفاعها 11سم، كما ظهر بعضاً من أنواع الشارات فى مصر القديمة[17]، منها ما هو دينى وما هو مدنى، وكانت تشير الشارات إلى المدينة الخاصة بالمعبود، وأيضاً تُحمل خاصة فى الإحتفالات الخاصة للملك، أما الإحتفالات العسكرية ظهرت على صلاية نعرمر، ولكنها كانت تظهر غالبا فى المراسم المدنية والدينية، مثل الجلوس على العرش للملك فى إحتفال Hb-sd (اليوبيل الثلاثينى)، وكانت تظهر على نقوش المعابد.

حركات الوحدة والتحرير: تأثرت نشأة العواصم المصرية القديمة أولاً بالتفكك السياسى وحركات إعادة التوحيد، ثانياً حركات الغزو الخارجى وحركات التحرير منها[18].

عبد الحميد زايد، *مصر الخالدة*، ص 95؛ أحمد فخرى، مصر الفرعونية، 1981، ص 55، 75

[13]Geoffrey Graham, "Insignias", in: Donald B. Redford (ed.), *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*, 3 vols., 1st ed. (New York-Oxford; Cairo: AUC Press 2001) 163-167.

[14] كانت الأعلام المرسومة على الأوانى الفخارية (النمازج الأكثر قدماً) بعضها يتكون من صارية علم يعلوها رمز ما، وكانت توجد أعلاماً تحمل بإتجاه أعلى الصارية شريط (أو شريطين) يخفق ويرفرف فى الهواء، ثم أصبحت هذه الشرائط جزءاً مكملاً لكل الأعلام، (والشرائط التى كانت تتدلى من العلم كانت تستخدم لربط الجزء العلوى أو الدعامة العلوية بالصارى الذى كان يحملها، كما كانت لتثبيت الرمز الدينى الذى كان يعلو العلم.) راجع، Loret, V., in *Rev Eg*. XI, p. 77.؛ على رضوان، *تاريخ الفن فى العالم القديم*، دار شركة الحريرى للطباعة، القاهرة، ص 94. ؛ منار مصطفى محمد إسماعيل، *شارات الحكم السياسية والدينية فى مصر القديمة*، المؤتمر الدولى التراث الحضارى بين تحديات الحاضر وآفاق المستقبل كلية الآداب- جامعة المنيا-جمهورية مصر العربية فى 24-26 نوفمبر 2013.

[15] Silvo Curto, "Standarten", *LÄ* V, 1255-1256.

[16] بياتريكس ميدان رينيس، *عصور ماقبل التاريخ فى مصر من المصريين الأوائل إلى الفراعنة الأوائل*، ترجمة ماهر جويجاتى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 2001، ص 164.

[17] Wolfgang Helck,Gauzeichen, *LÄ* II (1977),422-425.

[18] Show, I., and Nicholson, P., *British Museum Dictionary of Ancient Egypt*, British Museum Press, London, 1995, p. 310.

مظاهر الصراع فى بداية الأسرات: الملوك الأوائل: يأتى الملك "عحا"[19] على رأس ملوك الأسرة الأولى التى سماها "مانيتون" هى والأسرة الثانية "بالثينية"[20]، والأعمال التى تنسب إلى الملك "عحا"، إذا ما إعتبرناه هو الملك "نعرمر" فهو الذى أنشأ عبادة التمساح "سوبك" فى الفيوم، ومؤسس مدينة منف حيث أقام جهازه الإدارى وأنشأ فى نفس الوقت عبادة العجل "أبيس"، كما يفترضه أنه نظم البلاد بعد توحيدها وإتبع سياسة المصالحة مع الشمال بعدما نَكَلَ بِهم وإضطهدهم، ويستنتج من خلال اسم زوجته "نيت حوتب"= فلتهدأ نيت[21]، وشيد الملك "عحا" معبداً للإلهة "نيت" فى شرق البلاد وغربها، خلفه الملك "إبت (ى)" وثم خلفه على العرش الملك "ايت (ى)" ولقبه الحورى "جر"، وأنجب "جر" إبنة تدعى "مريت نيت" أى محبوبة الإلهة "نيت" التى تزوجت الملك "واجى" الذى خلف الملك "جر" وهى أيضاً أم للملك "دن" رابع ملوك الأسرة الأولى"، عمل الملك "جر" على تنظيم البلاد إقتصادياً ودينياً وخلفه الملك "واجى" وترك الملك "دن" ذكرى عهد مجيد مزدهر (بطاقة عاجية من أبيدوس[22])، بدأ عهده بفترة حكمت فيها "مريت نيت" كوصية على العرش. إنتهج الملك "دن" سياسة عنيفة فى علاقاته مع الشرق الأدنى فقاد حملة أسيوية فى السنة الأولى من حكمه وعاد منها بحريم من الأسيرات فكان خير سلف لـلملك "أمنحتب الثالث" فى هذا الشأن، لقب باسم "خاستى" (أى الأجنبى) أو رجل الصحراء، شيد القلاع والحصون وأقام الإحتفالات المكرسة للإلهين "آتوم" و"أبيس"، وإنتهج سياسة إعتدال مع شمال البلاد متمثلة فى نهج سياسة المصالحة معهم، وترجم هذه السياسة إلى خطوات عملية، فبالإضافة إلى اسم زوجته "مريت نيت" أنشأ وظيفة حامل أختام الشمال، وصاحب هذا اللقب هو "حما كا" الذى تم إكتشاف مقبرته فى سقارة التى إكتشف فيها بطاقة تحمل اسم الملك "جر" وتشير إلى عيد اليوبيل للملك "دن"، إمتد عهد الملك "دن" ليصل نصف قرن وهو ما يفسر قِصر مدة حكم خليفته الملك "عج إيب" معناه ذو القلب الجسور، ولأول مرة يوضع لقب ملك الوجهين القبلى والبحرى تحت رعاية الإلهين "نب وى" مما يدل على سياسة الإعتدال والمهادنة والمصالحة وعدم الإضطهاد ونظراً لأن الملك "عج إيب" اعتلى العرش متأخراً جداً وجد نفسه مضطر إلى الإحتفال بعيد اليوبيل(الحب سد) نظراً لتقدمه فى

---

[19] وقد إنتهى حكمه حوالى 3100 ق.م، وله قبران إحداهما فى سقارة والآخر فى أبيدوس،

[20] نسبة إلى "ثنى" مسقط رأس ملوكها، وتضع ثنى على مقربة من أبيدوس حيث تم إكتشاف فى مقابر جميع ملوك الأسرة الأولى وبعض ملوك الأسرة الثانية، وتشكل هاتان الأسرتان مجموعة واحدة، تبدأ عام 3150 لنتهى عام 2700 ق.م، أى أن حكمها إمتد زهاء خمسة قرون، إكتملت خلالها الملامح النهائية للحضارة المصرية.

[21] نيت هى الإلهة التى يقع موطنها الأصلى فى الدلتا عند مدينة "سايس"

[22] على رضوان، *الخطوط العامة لعصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات فى مصر*، ص 152.

السن، وإختتم الملك هذه المناسبة بأداء بعض شعائر الميلاد والتأسيس، وتعتبر هذه الإحتفالات مناسبة لبعض الصناعات التذكارية التى أمدتنا بأوانى حجرية تحمل جميعها القاب الملك، وتحتفظ ببعض هذه الأوانى التى صنعت تخليداً لذكرى الأعياد التى إحتفى بها الملك "عج–إيب" فى قصره الجديد بمنف، الذى يحمل اسماً له مغزاه ودلالته وهو الأمن والأمان يحوطان "حورس" وإلى عهد هذا الملك يرجع الفضل فى إضافة اسم جديد إلى ألقاب الملك ووضع هذا الاسم تحت حماية السيدين أى "حورس" و"ست" وهما إلاها الشمال والجنوب المختصمان وقد توحدا فى شخص الملك، ودلالة ذلك أن الملك جمع فى شخصه ثنائية مصر وثنائية السلطة سلطة "حورس" الضامن لكل توازن، وسلطة الدمار المتمثلة فى "ست" وهى الموجهة إلى خارج البلاد وبذلك كان عهد الملك عهد إعتدال دون إضطهاد ولا شك أن طول فترة حكم الملك "دن" تسببت فى الإضطرابات التى سادت فى نهاية الأسرة الأولى، فإنتقلت السلطة فى جو مشحون بالمصادمات، وخرج الملك "سمر خت" تماماً على سلفه، وتدل ألقابه على المناصب الدينية التى شغلها قبل إعتلائه العرش، فقد إختار لاسمه النبتى لقب الذى يحرس السيدتين أى "نخبت"[23] و"واجيت"[24] الحاميتان للجنوب والشمال، وإختار لاسمه "الحورى" لقب "سمير الألهة" وفى هذا سياسة تميز به تجاه الشمال والجنوب ويعبر عن عدم الصراع[25]، إنتقل مقر عرش البلاد إلى مدينة منف ومع إنتقاله بدأت أسرة جديدة جاء على رأسها الملك "حتب–سخموى" أى "القوتان فى سلام" وبالطبع فإن "حورس" و"ست" هما المعنيان بالقوتين، كما أن لقبة النبتى يذكى هذا التفسير، فقد إختار لنفسه لقب "السيدتان فى سلام"، ولهذا اللقب مغزى دينى وسياسى فربما يشير إلى صراع بين الجنوب والشمال الذى لم يصل لحد الصدام العنيف، ولكنه يظل دليلاً على إستعداد البلاد للإنقسام عند حدوث أية مواجهة، ولكنه قد حصن الأمر بإتخاذ هذه الألقاب التى تنم عن عدم إنحيازه لأحد وإنما هو من يهدأ الأمر بين المتخاصمين وإضفاء روح السلام على القطرين والتكامل وقد أقامت العائلة المالكة علاقات طيبة مع شرق الدلتا "بوباستس"، وهو ما يمكن إستنتاجه من ممارسة عبادة "باستت" و"سوبد" وفى هذا العصر تبوأت عبادة الشمس مكانتها، ولم يظهر اسم "رع" إلا فى الإسم "الحورى" لخليفة الملك

[23] ربة الكاب إلهة مصر العليا، أخذت شكل أنثى النسر حامية للملك، على رأسها التاج الأبيض، وهى إبنة رع وزوجة الإله خنتى أمنتيو، ياروسلاف تشرنى، *الديانة المصرية القديمة*، ص 247.

[24] إلهة حامية اتخذت شكل الحية من مصر السفلى، أو على هيئة آدمية برأس لبؤة عبدت فى مدينة بوتو، ياروسلاف تشرنى، *الديانة المصرية القديمة*، ترجمة أحمد قدرى، مراجعة محمود ماهر طه، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة 1987، ص 247.

[25] دفن "سمر خت" فى أبيدوس، كما دفن بها أيضاً خليفته الملك "قاعا" آخر ملوك الأسرة الأولى.

"حتب– سخموى" وهو "نب رع"= سيد الشمس، ويحتل رع نهائياً مكان إله الأفق، المكان الذى خرج منه وإنبثق، ويتأكد هذا الإختيار مع خليفة الملك "نب رع" الملك "نى نثر"= المنتمى للإله، وكان "سندج" معاصراً للملك "بر إيب سن" الذى كان يجب أن يعثر على تمثال له فى مقبرة "سندج"، هذا وقد ورد فى عصر الأسرة الرابعة عن وجود لقب كبير الكهنة المطهرين خاص بالملك "بر إيب سن" فى جبانة "سندج"، فى المعبد والأماكن الأخرى. وأما الملك "بر إيب– سن" فقد وضع تحت حماية الإلة ست. تقودنا هذه العناصر مجتمعة إلى إفتراض أن العلاقات بين المملكتين قد تدهورت قرب نهاية حكم الملك "نى– نثر" الذى إتخذ سياسته الدينية بوجهة جديدة، فإشتد إنحيازه إلى جانب الشمال[26]، بالإضافة إلى الإختيار الراسخ للمعبود "ست" فى مركز الإله الخاص وهو ما يدفعنا إلى الظن بأن الجنوب قد نال إستقلاله من جديد، أو أنه لم يعترف على أقل تقدير بسلطة حكام منف الذين إعتبرهم التقليد المتوارث أصحاب السلطة الشرعية وفقاً لمخطط عام ترسخ بمرور الزمن وصار أمراً متفقاً عليه.

وقد إمتدت سلطة الملك "بر- إيب- سن" حتى إلفنتين على أقل تقدير حيث عثر عام 1985 على آثار أختام تحمل اسمه، كما شيد فيما بعد معبداً مكرساً للإله "ست"، إن واقع إستمرار الطقوس الجنائزية الخاصة بـ "سندج" و"بر إيب سن" وإرتباطهما بالأسرة الرابعة ينهض كدليل على إحتمال أنهما لم يلقيا مقاومة عنيفة طوال مدة حكمهما على الأقل، ولكن الأحوال تغيرت بعد أن إعتلى عرش البلاد الملك "خع سخم (إى)" القوى "أى حورس"، وكان مسقط رأسه فى هيراكوبنوليس، وبمناسبة تتويجه أهدى إلى معبد المدينة ما يخلد ذكرى إنتصاره على الشمال، ومن بين ما أهداه مدونات على أوانى حجرية وتمثالان أحدهما من الشست والآخر من الحجر الجيرى ويظهر فيهما جالساً على مقعد له مسند منخفض، وهما أول تمثالين من هذا الطراز، ويبرز فيهما منذ ذلك الوقت المبكر قواعد فن التصوير الملكى، فظهر الملك "خع– سخم" ملتحفاً بعباءة طويلة حابكة من الظراز المستخدمة فى إحتفالات "عيد– السد" واضعاً على رأسه تاج الصعيد فى كل من التمثالين، ومع ذلك لم يقصد الملك "خع سخم" أن يجعل بالضرورة من الصعيد مصدر سلطاته بل يدل الزى الذى يرتديه الملك على أن التمثالين كانا ضمن مجموعة تشبه ما إكتشف فى أماكن أخرى من مجموعات تمثل الملك خلال إحتفالات التتويج، ويظهر على التوالى كملك الوجه القبلى ثم الوجه البحرى حسبما تقتضيه مراسم إحتفال عيد "السد"، وتحمل قاعدة التمثالين زخارف تمثل أسرى مكدسين، تتداخل أشلاء أجسادهم وتتشابك. ومن المحتمل أنه غير اسمه بمناسبة ما أحرزة من نصر فصار "خع سخموى" أى "القويان" تم تتوجيهما ووضع "حورس" و"ست" فوق السرخ

[26] ويلاحظ أن قوائم الملوك قد أغفلت اسم كل من "بر إيب سن" وخلفيته "سخم– إيب" المنتسب إلى أبيدوس

وبصفته ملك الوجهين القبلى والبحرى إختار لنفسه لقب السيدتان فى سلام من خلاله، وجاء إحكام سيطرته على البلاد وكأنه أعاد توحيد مصر، ومما يدل على سيطرته وإستقرار البلاد دون أى صراع وإضطهاد وواكبه تطور فى فنون العمارة، وسياسة نشطة فى مجال التشييد، فأقام عمائر من الحجر فى هيراكونوليس والكاب وأبيدوس حيث شيد مقبرته وهى أضخم مقابر ملوك الأسرة الثانية، كما كان يحيط بالملك مستشارون يتفاوت مستوى تخصصهم[27].

عصر الدولة القديمة: بداية الأسرات[28] : **الأسرة الأولى:** صلاية الملك نعرمر: يظهر الملك مرتدياً التاج الأحمر ممسكاً بالسوط وهو يسير إلى الأمام، ويتقدمه كاتبه وأربعة من حاملو ألويته[29] – (متجهين صوب "الباب العالى لـ "حورس" حامل الخطاف وهى العبارة الدالة على "بوتو")- حورس الشمال، حورس الجنوب، وب واووت، شدشد SdSd (حملة أعلام الأرباب)[30]، والمنظر يرمز لإحتفال الملك بإنتصاره الكبير على عدوه [31]. وأيضا جناح العرش على لوحة الملك "نعرمر" من هيراكونوبوليس، "متحف الأشموليان" وهو يحتفل بعيده الثلاثينى (حب – سد) لإعتلائه العرش، وفى الصف الأعلى يظهر أربعة من حاملوا الألوية يحمل كلا منهم لواء إله مختلف[32]. بطاقة عاجية من أبيدوس للملك "حور-عحا" ثانى ملوك الأسرة الأولى يظهر بالصف العلوى منظر لمعبد المعبودة "نيت" بسايس (صا الحجر) محاط بسور ويظهر فى مقدمته بالمدخل

---

[27]نيقولا جريمال، *تاريخ مصر القديم*، ص ص 95–71–75–، يتفاوت مستوى تخصصهم، فمنهم "مراقب العرشين" و"القائم أمام الملك" والمسؤل عن سرية المراسيم" ويقوم الإله من الناحية المبدئية بتسليم الملك الجديد الوثائق التى تثبت ملكيته للبلاد خلال حفل تتويجه، وبشرط أن يقوم حكمه للبلاد على إحترام قوانيتها المعبرة عن قوانين الكون، وأن يحكم عن طريق إصدار المراسم.

[28] Smith, *A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom*, 2nd ed., London, 1949,figs. 25,27,30,31; "The Carved Slats from Hieroknoplis and Elsewhere", *PSBA*, XXII, 1900, Pls. 2,4,6.

[29] عن تحليل رموز تلك الأعلام راجع:

Petrie, *Egyptian Hieroglyps of the First and Second Dynasties*, London 1927, PP. 703-705; Petrie, *The Wisdom of the Egyptians*, London, 1940, pp. 41 f.; Fairservis, "A Revised View of Naarmr Plate", *JARCE*, XXVIII, 1991, p. 15.

[30]بياتريكس ميدان رينيس، 316؛ ياروسلاف تشرنى، *الديانة المصرية القديمة*,10؛

Quibelle, W.F. Green, *Hierakonopolis* I (London, 1900),10, pl. XXIX; J. Vandier, *Manuel d'archélogie egyptienne*,I, (Paris 1952), fig. 391,392.

[31] Rita E. Freed," Art," The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, vol.I.p.127-136.

[32]بهاء الدين إبراهيم، صورة 13.

ساريتان فى نهايتها لواء "نثر" ويتوسط المعبد لواء المعبودة "نيت"[33]، وربما يرمز للمعبود الخاص بالمدينة[34]. طبعة خاتم (ختم) يصور الملك "جر" ثالث ملوك الأسرة الأولى فى منظر الإحتفال (حب سد) وهو جالس داخل جوسقه المنظر يتكرر من جزئين وأمامه لقبه، ويتقدمه حامل ويعلوه رمز وب واووت (فاتح الطريق)[35]. بطاقة عاجية من أبيدوس للملك "دن"[36] خامس ملوك الأسرة الأولى: يظهر الملك وهو يقمع أسير وأمامه لقبه فى السرخ ويظهر أمامه حامل يعلوه لواء برمز "وب واووت"، هذا المنظر يبجل انتصار الملك على أعدئه منظر من مقبرة "رع- حتب" الجزء الأيمن يظهر به حامل عليه رمز الصقر حور وهو رمز للحماية [37]. ويظهر حامل اللواء فى منظر "حب– سد" فى معبد "نى- وسر- رع" أبو غراب الأسرة الخامسة، n(y) –wsr – ra إسم التتويج : المنتمى لقوة رع[38].

الدين عند المصرى القديم: لم يكن مجرد وسيلة للتعبد والتعبير عن الورع والصلاح، بل أن الفكر الدينى قد أثر عليه وجعله المحرك الرئيسى لكل مجريات حياته ولكل تصوراته بعزيماته[39]، لذلك نجده قد شيد مبانيه متأثراً بالفكر الدينى لديه، فالمعابد إرتبطت فى تخطيطها وأسلوب تشيدها على تصوره عن نشأة الكون من المحيط الأزلى "نون"، فالمعبد يمثل تجسيد للكون المخلوق الذى أتى للوجود على حساب العالم الأزلى، وكل جزء منه تجسيد لمرحلة من مراحل الخلق[40]، كذلك المقابر التى شيدها من الحجر وحفرها فى صخر الجبل، ليضمن لها الدوام والإستمرار لتخدم الغرض منها وهو حفظ جزء من العناصر التى يتكون منها الإنسان، ألا وهو الجسد بالاضافة للعناصر الأخرى الروح والظل والاسم، أيضاً الأهرامات وعلاقتها بديانة الشمس والمسلة وعلاقتها بحجر 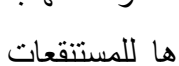 الـ"بن بن" وديانة الشمس أيضاً والأساطين وتجسيدها للمستنقعات فى

[33] Alexander Badawy, "Architekturdarstellung",*LÄ* I (1975),399-420

[34] Alexander Badawy*LÄ* I, 399-420;

على رضوان، 151؛ ياروسلاف تشرنى ص 8.

[35] على رضوان، 151.

[36] على رضوان،151.

[37] Karl Martin,"Speisetischszene" *LÄ*. V.(1984),1128-1133.

[38] ريتشارد ه. ويلكنسون، *قراءة الفن المصرى*، تقديم زاهى حواس، ترجمة، د.يسرية عبد العزيز، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة 2007، ص 190 – 191 .

[39] نازلى إسماعيل حسين، *فلسفة الحضارة*، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة بدون تاريخ، ص 45.

[40] فرانسوا دوما، *حضارة مصر الفرعونية*، ترجمة ماهر جويجاتى، ص 329؛ جيمس هنرى بريستد، *فجر الضمير*، ترجمة سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1999، ص 37؛ فرانسواز دونان، كريستيان زفى كوش، *الآلهة والناس فى مصر،(من 3000ق.م. إلى 359م)*، ترجمة فريد بورى، مراجعة زكية طبو زادة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط 1، 1997، ص 5.

نظريات الخلق، والأسقف المزينة بالنجوم كمحاكاة للسماء وما يزينها، حتى الزخارف والنقوش على الجدران التى كانت تؤدى دوراً دينياً سواء للمعبود أو للمتوفى فى المقبرة، كما إهتم المصرى القديم بمحاولة تفهم الكون وتفسير نشأته وكيف كانت بدايته والوسائل اللازمة لإستمرار هذا الوجود، وحاول وضع تصور عن أشكال العالم قبل الخلق، فقد أرجع خلق الكون إلى قوة خفية خالقة بدأ منها كل شىء، وأرجع إليها الفضل فى وجود كل شيء لذلك نجده قد أطلق العنان لفكره وخياله فى محاولة لتفسير نشأة الكون[41]، عن طريق العديد من **النظريات** التى خرجت من عدة مدن ذات الثقل السياسى، والتى تعد من المراكز الدينية الرئيسية فى مصر القديمة مثل **"عين شمس"، "منف"، "الأشمونين"، "طيبة"** وهنا نجد بداية الإنحياز والإنتماء، فلقد جعل الكهنة فى كل واحدة من هذه النظريات معبود مدينتهم الرئيسى هو المعبود الخالق للكون ونسبوا له الفضل فى وجود الكون ونشأته. والمصرى القديم منذ أن عرف الدين الذى آمن بمعتقده على الرغم من أنه دين وضعى، فإن التحيز والتعصب والصراع والإضطهاد لم يكن من شيم الشعب المصرى والطبقة الوسطى من المثقفين والمتعلمين، ذلك أنه مجتمع قوى متماسك آمن بديانته دون تعصب أو عنف لمعتقده، ففى روايات نجد حدثاً كان له أكبر الأثر على الديانة، إذ إتحدتا مملكتا مصر العليا والسلفى لتكون دولة واحدة ومقر حكمها منف، وكان هذا له أثر بالغ فى الديانة فقد غدت الديانة بعدئذ شبيهة بالحكومة، أى أنها أصبحت ذات صبغة موحدة تؤلف عقيدتا هليوبوليس ومنف نواتها[42]، ومن هذا نستنتج أن الشعب المصرى عامته ومثقفينه ومتعلميه لم يعرفوا تطرفاً دينياً، إنما التعصب والتطرف جاء فى الصفوة من المجتمع المصرى والحاشية الملكية، بما ورائها من طائفة الكهنة العلماء والطائفة التابعة للبيت الملكى من بلاد وموظفين وعاملين فى الأجهزة المختلفة للدولة وغيرهم، ونستنتج من ذلك أن التعصب خلال الفترات التاريخية التى إمتدت إمتد معها إلى أن تحول للصراع والإضطهاد، دون ذلك نجد أنهما لم يتكونا على أساساً ديناً وإنما على أساساً سياسياً ويوظف لصالح فئة على حساب الأخرى سياسياً وإقتصادياً وفنياً وليس إجتماعياً. وعرف فى الدولة القديمة نصوصاً دينية معروفة باسم "نصوص الأهرام"[43] وإن كان الإتقان التى صيغت به تلك النصوص يشير إلى أنها لم تكن وليدة هذا العصر إنما هى ترجع لسنوات طويلة "سابقة" وربما لم تعرف لأنها لم تكن مدونة وإنما تناقلتها أفواه الكهنة فى المعابد ويتم تنقيحها وتزويدها وتصحيحها على

[41] نازلى إسماعيل حسين، المرجع السابق، ص 44؛ جون ولسون، المرجع السابق، ص 146.

[42] أدولف إرمان، *ديانة مصر القديمة* نشأتها وتطورها ونهايتها فى اربعة الاف سنة، ص 78.

[43] K. Sethe, *Die Altagyptische Pyramidentexte*, 2Bde, 1908-9; R. O. Faulkner, *The Ancient Egyptian Pyramid Texts*, Oxford, 1969; Allen J., *Ancient Egyptian Pyramid Texts*, Brill, Leiden, Boston 2005

مدار هذا الزمن الطويل حتى وصلت إلى الوقت التى دونت فيه فأصبحت نصوص متكاملة الشكل وقت تسجيلها، وكانت هذه النصوص خاصة بالملك المتوفى بما يشير إلى التعصب للملك دون أفراد الشعب بما ولد العنصرية، وهى عبارة عن مجموعة تعويذات سحرية عددها 714-759 وهى من أهم المصادر فى الديانة المصرية القديمة التى عرفنا من خلالها الحياة الأخرة والجنائزية التى نحتت فى صفوف منتظمة على الجدران الداخلية لغرف الدفن والممرات المؤدية إليها فى الأهرامات[44]، ونقشت لأول مرة فى هرم الملك ونيس (حوالى2341-2311ق.م.)[45] آخر ملوك الأسرة الخامسة (حوالى 2345ق.م.) ويليه ملوك الأسرة السادسة تيتى، بيبى الأول، مرى ن رع، وبيبى الثانى(حوالى 2345-2181ق.م.)، وثلاث من الملكات زوجات الملك بيبى الثانى منهن أيبوت الثانية ونيت (بنات الملك بيبى الأول وشقيقات بيبى الثانى) ثم زوجة ثالثة هى

[44] إكتشف الأهرامات ماسبيرو بين عامى 1881–1882 وتقع جميعها بين دهشور وسقارة، وكانت جدران حجرة الدفن تحمل نقوشاً تمثل فصولاً أو فقرات طويلة وهى نصوص عبارة عن طقوس متعددة الأغراض جنائزية وتعاويذ وأناشيد دينية، تتحدث عن فكرة صعود روح الملك المتوفى إلى عالم الدنيا السفلى السماء فى ملكوت الأب معبود الشمس رع، وسط تهليل المعبودات الأخرى ولإرتباطه به الذى كان يعتبر إبناً له على الأرض والممثل له، والذى خصصت له بعض الفقرات بخلوده، ومعرفة هذه النصوص تضع الملك فى حالة الدفاع فى العالم الآخر ويستطيع بها أن يثبت حقوقه، وقد ظهرت هذه النصوص بدون رسومات ومكتوبة عمودياً ولونت باللون الأخضر تعبيراً عن الحياة والتجدد، كما كتبت خالية من العلامات التى تشير للبشر وبعض الحيوانات، لإبعاد خطرها عن القرابين المقدمة لروح الملك المتوفى كما كتبت لعناية الملك المتوفى وما سوف يحدث له وما يقابله من أخطار والطرق التى يجب أن يتبعها لتلافيها .راجع: أحمد فخرى، مصر الفرعونية، ص139–140؛ رمضان عبده، ص 236؛ شريف الصيفى، *الخروج فى النهار* كتاب الموتى، نصوص مصرية قديمة، ص18؛ منار مصطفى محمد إسماعيل، *وسائل مساعدة المتوفى فى رحلة العالم الآخر دراسة تحليلية بمتون الأهرام*، الإتحاد العام للآثاريين العرب جـ 1، وجدة – السعيدية 2012، فى الفترة من 13–15 أكتوبر 2012، بمدينة وجدة بالمملكة المغربية فى ضيافة جامعة محمد الأول، ص 338–393؛

Faulkner, *Pyr*.,p.5; Kees, *Gatterglaube*, p.101; Piankoff, *Unas*, p.15; Speleers, *Textes des Pyramides*, p.12; Mercer, *Pyramides Texts* I, p.9; Altenmuller, in *LÄ* V,col.14-23.

[45] طبقاً لبردية تورين حكم 30 عاماً وعند مانيتون 33 عاماً، وكان أول ملك من الأسرة لا يحتوى اسمه أو يتداخل فيه اسم المعبود رع، وعلى الرغم من ذلك لقب بلقب إبن رع كأسلافه، وشيد هرمه فى الركن الجنوبى الغربى لهرم الملك جسر، وسماه "نفر سوت ونيس" أى جميلة أماكن ونيس.راجع:

Baines-Malek, *Atlas of Ancient Egypt*, p.36; Gauthier, *Livre des Rois* I, p.138(11)n.(3-4);

منار مصطفى محمد إسماعيل، *وسائل مساعدة المتوفى فى رحلة العالم الآخر دراسة تحليلية بمتون الأهرام*، الإتحاد العام للآثاريين العرب جـ 1، وجدة – السعيدية 2012، فى الفترة من 13–15 أكتوبر 2012، بمدينة وجدة بالمملكة المغربية فى ضيافة جامعة محمد الأول، ص 338–393.

أودجبتن[46]، والملك إيبى من ملوك الأسرة الثامنة[47]، وكتبت بالخط الهيروغليفى، ولونت زخارف أسقف حجرات الدفن بأشكال النجوم لتمثل السماء، لتظل جثمان المتوفى كما هو فى هرم الملك "ونيس"،- وهذه التعويذات ربما كانت حصاداً لعصور طويلة سابقة التى أبدعها الكهنة من نتاج أفكار مختلفة دونوها على كسر الفخار والأحجار حتى بدأ تسجيلها بالكامل لأول مرة فى هرم الملك ونيس - والغرض منها أن تجعل المتوفى قادراً على أن يرى ويقرأ ما حوله من تعاويذ وتراتيل ودعوات ولضمان سعادة وحماية الملك المتوفى من المخاطر التى يواجهها فى العالم الآخر، كما تميزت متون الأهرام فى التحدث عن مصير الملك بوضوح.

ففى بداية الأمر إتخذت العقائد الجنائزية نفس المسار المعبر عن الإنتقال من حياة الصيد إلى حياة الزراعة، وتدريجياً بدأت الدفنات تنتقل بعيداً عن التجمعات السكانية لتقام خارج عالم الأحياء، وتستقر عند حدود الأرض المرزوعة، وزود المتوفى بما يلزمه من حبوب وقرابين غذائية، كما يصطحب معه ما يحتاج إليه من أدوات الصيد وأثاث يتكون من أوانى فخارية على وجه التحديد، ويوسد المتوفى فى وضع الإنثناء إستعداداً للقيام برحلة كانت تقودة على ما يبدو منذ ذلك الوقت المبكر، صوب الغرب الذى تغمره الشمس يومياً بأشعتها بعد أن ترك عالم الاحياء،

الدولة القديمة: الحكم الأول للكهنة عصر الدولة القديمة "كهنة إله الشمس":

ارتبطت المدن المصرية الأولى بالدين الذى يمكن اعتباره عصر التميز الرئيسى بين المدينة والقرية فى مصر القديمة، كان المعبد يمثل مركز الحياة والعمران ومن حوله كانت المدينة تنمو وتمتد مساحتها للحياة فيها، وكان وجود آلهة محلية للأقاليم عاملاً هاماً فى نشأة المدن بمعابدها[48]. وكان إله المدينة له السيادة الدينية على الإقليم، وقد يقوى نفوذ أحد الآلهة وكهنته فى البلاد، وربما يظهر من هؤلاء الكهنة الملوك وتتحول مدينتهم

---

[46] الزوجات أيبوت ونيت والملك إيبى نصوص أهراماتهم ظهرت مختصرة. شريف الصيفى، *الخروج فى النهار* كتاب الموتى، نصوص مصرية قديمة، ص454،17؛ أحمد فخرى، الأهرامات المصرية؛

Leclant,J.,"Pepy II"in: *Oxford Encyclopedia*, vol. III, pp. 34-35; Lehner,M., *The Complete Pyramids*, London, 1997,p.163;Troy,L., *Pattern of Queen ship in Ancient Egypt*, Uppsala, 1986,pp.155,183,188,193,196;

منار مصطفى محمد إسماعيل، *وسائل مساعدة المتوفى فى رحلة العالم الآخر دراسة تحليلية بمتون الأهرام*، الإتحاد العام للآثاريين العرب جـ 1، وجدة – السعيدية 2012، فى الفترة من 13–15 أكتوبر 2012، بمدينة وجدة بالمملكة المغربية فى ضيافة جامعة محمد الأول، ص 338–393.

46 عبد العزيز صالح، *حضارة مصر القديمة وآثارها*، ج1، القاهرة– 1992، 368–369.

[48] أحمد على إسماعيل، *دراسات فى جغرافية المدن*، ط 1، القاهرة 1977، ص 35-36.

أو مدينة أخرى إلى عاصمة البلاد مثلما حدث فى عصر ما قبل الأسرات، عندما تمكنت المدينة المزدوجة نخب ونخن من أن يكون لها السيادة وتصبح المدينة الأولى فى أقاليم مصر العليا، وفى نفس الوقت استطاعت بوتو أن تحتل مركز الصدارة وتصبح المدينة الأولى كذلك فى أقاليم مصر السفلى[49].

الدولة القديمة: عصر بناة الأهرام: تبدأ من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة، وكان مقر الحكم فى منف، وعرف فيها الإستقرار والمركزية، وكان المصرى القديم بقدر خبرته كان قادراً على مواجهة أية حالة والنجاح فى معالجتها[50]، واتبع مبادىء "ماعت" العدالة والحق التى يتم بها إنتظام مسار آلية الكون، التى يحيا عليها الملك وكل الأفراد، وكان الملك هو المحور المركزى الذى يدور حوله كل شىء[51]، ولم تستمر المركزية طويلاً، فقد أصابها الخلافات السياسية، وفقد الملك سيطرته على حكام الأقاليم، الذين زادوا قوة واستقلالاً، وقل ولاؤهم للملك، وساد البلاد حالة من الإضطراب الشامل، وهذا ما انتهت إليه الدولة القديمة بعصر اللامركزية (عصر الإنتقال الأول)[52].

عصر الدولة القديمة وماقبلها فجر الضمير لقد أخذت عبادة الشمس تنتشر منذ الدولة القديمة، ولعل السبب فى ذلك أن ملوك الأسرة الخامسة الذين حكموا مصر من عام 2560 إلى 2420ق.م. الذين كانوا ينتمون إلى كهنة هذا الإله فأصبح كنز المعبودات تقديساً عندهم، وظهر تأثير هذه العبادة على الناس كما أضافوا فى كل مكان اسم "رع" فى الالف سنة التالية على أسماء الآلهه القديمة، وهكذا أرادوا أن يضيفوا على الآلهة "سوبك رع" و"مونت رع" و"خنوم رع"، وكان أول إندماج هو إندماج آتوم إله هليوبوليس القديم، وأرادوا أن يضفوا نصيباً من القوة التى تمتع بها ذلك الإله الفتى لإله الشمس والذى كان يتصرف فى مقادير العالم أجمع، وسيعود ذلك التصعب لإله الشمس "رع" إلى نتائج سلبية، فلقد أصبح أيضاً "آمون" الإله المحلى لطيبة منذ عصر الأسرة الحادية عشر حوالى2100ق.م. "آمون رع" وبلغ إله الشمس فى شخصيته الجديدة كملك للآلهة أسمى درجات التقدير والشهرة، فقد كان "آمون رع" منذ عصر الأسرة الثامنة عشر(1600 ق.م) إله الإمبراطورية المصرية. وكما سببت الملكية فى مصر ذلك الإنتشار الواسع لعبادة إله الشمس نراها أثرت أيضاً تأثيراً واضحاً فى صياغة الأسس الدينية، فلقد كانت مصر منقسمة إلى دولتين ومع هذا الإنقسام السياسى كان هناك أيضاً إنقسام عقائدى ولد نوعاً من الإنتماء أحياناً وأحياناً أخرى تعصب، وفى أطواره الأخرى إضطهاد ذكرته بعض اللوحات التذكارية مثل الصليات وكيف أن الموحد "مينا" قد نكل

---

[49] عبد الفتاح وهيبة، *مصر والعالم القديم*، الإسكندرية 1975، ص 369.

[50] جون ولسون، *الحضارة المصرية*، ترجمة أحمد فخرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1993، ص 185.

[51] جون ولسون، المرجع السابق، ص 185-186.

[52] رمضان عبده على السيد، *معالم تاريخ مصر القديمة (منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م.)*، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة 1986، ص 209-215.

بأعدائه فى الشمال، وتوضح أيضاً الصراع والإضطهاد الواضح للإستيلاء على الشمال، ولم ينسى الفنان فى الصلايات الجانب الدينى وتمثيل للمعبد الجنوبى معبد "حورس" فى الجنوب مما يعنى صراع وإضطهاد دينى أو سياسى فى ثوب دينى، وهذا الإنقسام تمثل فى دولتين مصر السفلى وعاصمتها "بوتو" ومصر العليا وعاصمتها "نخن" وهذا التقسيم الذى يرجع إلى عصور فجر التاريخ له مظاهر أخرى ربما إنها توضح التعصب والإنتماء والصراع والإضطهاد الدينى تلك المظاهر تمثلت فى أن هناك إلهان رمزيان هما "حور" و"ست" وإلهتان حاميتان لملكى القطرين هما "الثعبان" "واجيت" "بوتو" و"العقاب" "نخبت" ثم التاجان الأحمر لمصر السفلى والأبيض لمصر العليا اللذين قد ألههما المصريون، الدور الإيجابى وبين طياته الشق السلبى فى الإنتماء والتعصب فى عصر الدولة العتيقة والقديمة، لقد حدث أن تمكن حاكم لمصر العليا فى الألف الرابعة ق.م. من أن يوحد القطرين، ويعتبر هذا الحدث بمثابة بدء عصر جديد للديانة المصرية إختلطت فيه المعتقدات الدينية، وكلما زارد إختلاطها تقارب بعضها من بعض ولا نود أن نقول بأن البعض منها قد تلاشى أو هجر، فما كان يمت إلى القديم بقى حياً بجانب ما أدخله العصر الجديد من مبتكرات على هذه المعتقدات، فمثلا أسس الملوك منذ أول عصر الدولة القديمة عواصمهم فى المنطقة بين منف وهليوبوليس، ولكنهم إستمروا يتحدثون فى معابدهم عن العاصمتين "بوتو" و"نخن"، كما أن إلهتى هاتين العاصمتين هما اللتان تحميان الملك، ولو أنهما كانتا قد إندمجتا فى بعضهن فأصبحتا تصوران كثعبانين، وغير ذلك فلازالت مصر فى عرفهم منقسمة إلى قطرين، والملك هو سيد القطرين بل إن ألقابه تظهره كما لو كان صاحب شخصيتين ربما لإرضاء الشعب فى القطرين وآلهة القطرين وكهنتهم محاولة منه للتغلب على هذا التعصب الدينى فى القطرين وإنه يمثل هذا القطر وينتمى إليه وبالمثل القطر الآخر فهو ملك مصر العليا ومصر السفلى ويلبس لكل شخصية يمثلها التاج الخاص بها، ولم يمنعهم فى نفس الوقت من أن يضموا التاجين ويجعلوا منها تاجاً مزدوجاً واحداً ربما ليعلم الناس أن مصر باتت موحدة فهذا التاج الموحد يرمز لأن الملك جمع الأرضين فأصبحتا أرضاً واحدة وهذا ما قد يعبر عنه التاج، ولقد إختلف الحال مع آلهة القطرين، إذ تضاءل مركز "ست"[53] بالنسبة إلى "حورس"[54]، وهذا إضطهاداً فى ثوب إلهى من "حورس" إلى "ست" فهذا التضاؤل تأثر بحدث تاريخى نرجح أن يكون ماورد فى النصوص المصرية والخاص بظهور دولة غارقة فى القدم سمى ملوكها "أتباع حورس" وخصت هذه الأسرة الملكية حورس بتقديس بين كل ماعداه من آلهة، ومن هنا نشأ هذا التميز أو الإمتياز

[53] معبود مصر العليا

[54] معبود مصر السفلى

الذى إنفرد به "حورس" دون غيره من الآلهه جميعاً فى العصور التاريخية، وأصبحت صورة الصقر فى الكتابة المصرية كمخصص لإله وللملك وأصبح حورس قبل كل شيء المثل الأعلى للملك، فهو الإله الذى كان أول من حكم الناس، وبذلك فإن كل من أعقبه من الملوك هم خلفاءه وممثليه وكان الملك يلقب بأعظم الألقاب "بحورس"، أما لقبا ملك مصر العليا والسفلى فلم يكونا غير لقبين لوظيفة الملك الدنيوية. أما إذا أرادوا أن يفرقوا بين شخصية الملك وبين "حورس" كإله لقب الملك "بحورس" الذى يسكن القصر وكذلك نراهم يذكرون "الرعب الذى يلقيه "حورس" بين سكان البلاد الأجنبية، ونجد تعصب دينى وصراع وإضطهاد من ملوك ومن أسر لأسر أخرى[55]. ويظهر الملك وأنه إبناً لأبيه من الناحية الفعلية إلا أنه فى نفس الوقت هو إبن لأكبر الآلهة وأكثرها تقديساً[56]، وإستمر الشعب متمسكاً بفكرتة التى وردت قصة كتبت حوالى عام 1700ق.م. عن ملوك الأسرة الخامسة وكيف أنهم ينتمون إلى محتذا إلهى تذكر إن "رع" كان غير راضى عن الملك "خوفو" الذى بنى الهرم الأكبر وإذا ما تفضل وسمح لإبنه وحفيده "صاحبا الهرمين الثانى والثالث" بالحكم فسيحكم مصر من بعدهم ملوك يفوق تعديهم للإله وتفكيرهم فى تشييد مقابرهم الفخمة، ملوك أخرى يشيدون فقط المعابد ويقدمون القرابين على المذابح ويكدسونها بكثرة على الموائد، وبهذا إختار الإله زوجة كاهن من كهنته وأسماها "رود–دوت" وجعلها تحمل منه وتلد بمساعدة الإلهات ثلاثة أطفال كانوا بمثابة باكورة جيل جديد، فأعطاهم "خنوم" الذى يصنع الناس أعضاء قوية، وأعطتهم إزيس أسمائهم وتبينت مسخنت[57] إلهة الولادة إنهم ملوك حقيقيون "سيتقلدون شئون الملك فى هذه البلاد بأجمعها وهؤلاء الملوك هم "أوسر كاف–ساحو رع–و كاكاى" وهم أول ثلاث ملوك فى الأسرة الخامسة الذين لم يولدوا كتوائم ولكنهم كانوا بالفعل مقربين إلى إله الشمس بدليل أن كلاً منهم قد بنى معبداً خاصاً لهذا الإله بالقرب

[55] إرمان ص 62

[56] ويذكر "إرمان" إنه ليس فى إستطاعتنا أن تفسر مرجع ذلك الإعتقاد وكيف يكون ذلك. ولكن أرد عليه فى أن الناس كانوا يعتقدون أنه لابد للإله أن يكون له إبن ليرشد العامة والناس أجمعين وربما أبلغ دليل على ذلك ما جاء فى القرآن أن النصارى يقول أن المسيح بن الله وقالت اليهود أن عزيز بن الله وقد أخبرنا الله تعالى بأن هذا مافكر فيه الناس وهذا ليس فى المسيحية واليهودية وانما ينطبق أيضاً وبالطبع على العقيدة المصرية ولو تتبعنا هذا الفكر لوجدناه سجل كتب العهد القديم والعهود الجديدة بما عرف أو سمى بالإنجيل والتوراة ورد عليهم المولى عز وجل بأن قال مثل المسيح ابن مريم كمثل أدم فى خلقة ويقول عز وجل هو على هين.

[57] ظهرت مع إلهات الولادة أثناء عملهن وخاصة مع (حكات) وكانت إلهة للقدر والحظ والمصير، ياروسلاف تشرنى، *الديانة المصرية القديمة*، ص 245؛

Richard H. Wilkinson, *The Complete Gods and Goddesses of Ancient Egypt*, AUC Press, 2007, pp.152-153.

من عاصمتة وقام بالخدمة بنفسة وعظماء رجالة[58]، فنجد أن هناك صراع عقائدى يمتد من ملك لملك وأسرة لأسرة ودولة لدولة، وأحياناً ما يبدأ هذا الصراع بالإنتماء ثم الإنحياز والتعصب والإضطهاد، لإله على حساب إله آخر فيمثل إضطهاداً مادياً واضحاً لذلك الإله الآخر ويعود عليه بالضرر، فلا ينعم بما ينعم به معبد الإله الذى تبنته الدولة أو الأسرة أو الملك، فيتصاعد نجمة وتزيع شهرتة وبزوغة وتنموا إقتصاديات معبده وموارده وسطوة كهنته على حساب معبد الآلهة الآخرى، من تقلص لنفوذها على الحكم والإقتصاديات المتوفرة للمعبد من إنخفاض حاد، ومن قلة الولاء من أتباعه بعد ما يتجهون للإله الجديد الذى بزغ فيتقلص دورة ودور كهنته بما يولد الشعور بالظلم والإضطهاد من قِبل أتباعة فيمثل هذا إضطهاداً إلى أن يبلغ زروتة وضعف قوة إحتماله فيحاولون العودة إلى أمجادهم وأمجاد إلههم ومعابدهم وحينما تسنح الفرصة لذلك وخاصة فى أوقات الضعف والتروى للدولة المصرية تكون سكينة الدين والعقيدة هى أول من تطعن فى جسد الأمة المصرية بسكين الدين والعقيدة فيتم تقطيع أوصالهم وابراز الإضطهاد للشعب لتوليد الأحقاد بإسم الدين، فسرعان ما تبدأ الدولة فى السقوط والإنهيار كما حدث فى عصر الإنتقال الأول والثورة الشعبية وغيرها من مراحل الإنتقال وتكون على رأس عوامل السقوط هذه والمرور بالمرحلة الإنتقالية هو العامل الأبرز للصراع والإضطهاد الدينى والعقائدى، ومن القصة الخرافية فالدافع الرئيسى هو أن الإله غير راضى عن الملك خوفو وإبنه وحفيده، وملوك الأسرة الخامسة قد فشلوا فى تشييد مثل هذه المقابر الفخمة، وحتى المعابد التى قاموا بتشيدها تهدمت وأصبحت أطلالاً، يدل ذلك على أن السياسة الإقتصادية والإدارة كانت فى أوج إزدهارها فى عصر الملك "خوفو" ومن خلفوه وبذلك يكون مثل هذا الإدعاء الدينى لتغطية الضعف الإقتصادى التى مرت به الأسرة الخامسة وهذا يعتبر إضطهاداً دينياً يهدف إلى تحسين صورتهم السياسية

[58] وهذة القصة الخرافية حبكها وأخذ يسردها رجل من الرجالات الموالين لأحد الملوك القدماء ويبدوا أنها لاقت إستحساناً وأجازت إعجابه وإعجاب رجال بلاطه إلى درجة إنهم نقشوا ورسموا حوادثها فوق جدران المعبد، وأسلوب هذه القصة يدل على أنها دمجت وكتبت فى عصر الدولة القديمة وهذه القصة فى مجموعها تعتبر نموذجاً جميلاً لإسلوب النشر، ولكنها إتخذت هذا الشكل المختلف الذى وصلت به إلينا بعد أن أراد الفنانون سردها مصحوبة بصور ورسوم لنقشها على جدران المعبد ولا ندرى تماماً المعبد الأول الذى زينت جدرانة بهذة القصة وربما إنها كانت قد نقشت على جدران معابد الشمس التى تهدمت وأصبحت أطلالاً ومنها من بقى منه بقايا، وأول نموذج وصل إلينا هو الذى نقش على جدران معبد "لأمنمحات الثالث" ومن عصر الدولة الحديثة وصل إلينا نموذجان الأول للملك "حتشبسوت" والثانى للملك أ"منمحوتب الثالث" ولقد إنتشرت هذه القصة فنجد مثيلها منقوشاً فوق جدران معابد طيبة فى عصر الدولة الحديثة وكان الإله هنا بالطبع هو آمون مدموجاً برع "آمون رع" ثم نجد أيضاً فى معبد من معابد الفيوم وكان الإله هنا هو سبك، راجع:

Urk.IV. 241 ff; Berlin, Age .insch. 1,268; noville. *Der el Bahari II*, 46 ff; Urk.IV, 216; Gayet, *luxor*, 63ff .

والإقتصادية بإسم الدين، وهل كانت موائد القرابين والمذابح والأُضحيات تعود على عامة الناس أم إنها كانت تعود بالدرجة الأولى قبلهم على الكهنة بالنفع والخير وإزدياد لنفوذهم والثراء لهم ولمعابدهم، من غلال وأراضى كانت تخصص للإله والمعبد والقائمين على المعبد وبالتالى إزدادت نفوذهم وسطوتهم على حساب سائر المعابد المصرية والآلهة الأخرى وعدم المساواة[59]، فتبنت بعض الأقاليم والعواصم الأخرى نفس القصة للإرتقاء بمدينتهم وإلههم ومعابدهم مثلما حدث من غيرهم، وإستمر صراع الإضطهاد موجوداً والإضطهاد المضاد حسب مجريات الأحداث السياسية والإجتماعية لكل إقليم أو معبد ثم يعود مجدداً وينتقل لغيره.

الصلايات وعلاقتها بالصراع والإضطهاد الدينى: صلاية الأسد والعقبان[60]:

تذكر بإسلوب رمزى المصادمات البشرية، وتصور محاربين بملامح ليبية فهم ملتحون وشعرعم طويل يرتدون جراب العورة، ويسير أسيران أوثقت أذرعتهم خلف ظهريهما ويقودهما لوأن شبيهان بألوية صلاية الصيد، فهنا يصبح الرمز واضحاً، فالأسد إلى جانب الثور هو من الصور الرئيسة المفضلة والمعبرة عن سلطة الملك وهو الضامن لهيمنة مملكة الصقر على شعوب الشمال، تعاونه فى مهمته أنثى العقاب الإلهة الحامية لمدينة هيراكونوبوليس، ثم يصبح الصقر إله عصر الأسرات، يتوسط الصلاية أسداً قوى يبقر بطن عدوه وهو رمز الملك فى ساحة القتال، وأسفل المنظر مجموعة من الأعداء الموتى التى تأكل العقبان من لحمها، ويرمز الأسد لأحد ملوك الأسرة صفر، الذين أخذوا على عاتقهم توحيد شطرى مصر، وهذه الصلاية ما هى إلا لوحة تسجل المراحل التى أدت فى النهاية إلى هذه الوحدة. وربما نقرأ من خلال نقوش الصلاية مدى الصراع وإضطهاد ملك الجنوب الذى حارب تحت ألوية ألهة مملكة الجنوب للشمال، بل والتمثيل لجثثهم من خلال تركهم للعقبان التى تأكل لحمهم وذلك أن الشمال كان يدافع عن بقاء معبوداته فى مكانتها العالية دون الخضوع لآلهة وحكام الجنوب فدافعوا عنها تحت ألويتهم التى تمثل ألهتهم الحامية، فنقول ذلك على الرغم من دعم كل وجهات نظر الآثاريين والمؤرخين إلى هذا الصراع والإضطهاد بدعوى أنه فى سبيل الوحدة

---

[59] أن الأضاحى والمذابح والقرابين كانت تعود بالنفع على عامة الناس فهذا يعنى أنها تعود بالنفع على من يترددون على تلك المعابد وبالتالى تحرم منه فئة أخرى من الناس لا يترددون على هذه المعابد بسبب معتقدهم وإنتمائهم وهذا يمثل إضطهاداً فحرمان فئة من مثل هذه الأضاحى والقرابين يمثل تحيز وإضطهاد لفئة على حساب فئة أخرى تحرم منها بعدما هدمت معابدهم أو على أقل تقدير نقصت من معابدهم بعدما تفردت وتميزت معابد أخرى بمثل هذه النعم والعطايا الملكية فهذا اضطهاداً مادياً يسبب فى تولد الحقد والكراهية والشعور بقلة الحيلة فى تميز ناس على ناس أخرى يولد حلقة من حلقات الإضطهاد وعندما تبلغ زروتها حينما تضعف الدولة وسلطتها فتكون سبباً مبعثاً فى السقوط.

[60] محفوظة بالمتحف البريطانى ومتحف أشموليان

والإخضاع للحكم تحت راية معبودهم ومعتقداتهم والسيطرة على الموارد الإقتصادية للدولة التى غالباً ما كان يذهب معظمها إلى معابد معبود المملكة أو الدولة الرئيسى. وعلى صلاية الثيران[61] تصور الرمز الثانى لسلطة الملك وهو الثور، ونراه يبقر أحد أهالى الشمال بقرنيه فوق موكب أسرى شُد وثاقهم بحبل واحد مربوط بشارات الممالك الخمس المتحدة، ويصور ظهر الصلاية أسوار مسننة تضم كلاً منها اسم المهزومين مكتوباً بالعلامات المرسومة.

رأس مقمعة الملك العقرب[62]: الملك يظهر واقفاً وعلى رأسه تاج الجنوب الأبيض ويرتدى سروالاً ونقبة يتدلى من حزامها ذيل ثور، ويمسك بفأس يحفر قناة كمشروعاً زراعى وهو يقوم به فى الدلتا التى مثلت بنبات البردى الممثل فى صفين خلف الملك، وتوضح أنه يشق قناة بواسطة فأساً كبيرة فى حين يملاء أحدهم قفة بتراب الأرض، وانشغل بعضهم قرب مجرى ماء بجوار شجرة نخيل وضعت فى أصيص، أما الملك الذى دَون اسمه بعلامة مرسومة تمثل عقرباً فقد صور بقواماً فارع بطوله وسط مشاهد عرفان الجميل وتحت صف من الألوية، هى مقدمة لما سيصبح فيما بعد مقاطعات البلاد، فقد ربطت بهذه الألوية طيور الزقزاق "الرخيت" التى تشير إليها النصوص الاحقة على أنها تمثل حكام الوجه البحرى، والذى ربما أنه يصور نوعاً جديداً من الصراع والإضطهاد، فطيور الرخيت حينما تربط فى هذه الألوية دليلاً على وقوعها تحت سيطرة تلك الألوية وأسرها، لسيطرة الجنوب على الشمال وإخضاعه لسلطة هذه اللألوية أو لمعبودات تلك الألوية، مما يوحى بأن تلك المعبودات أصبحت ذات شأناً فى الدلتا وتفوقت على معبودات الدلتا وهذا الصراع والإضطهاد يمثل سخرية لأهل الدلتا. ويعد ذلك إنتصاراً للملك والمعبود الخاص به وبإقليمه وتتوارى خلفه كل المعبودات الأخرى وتسعى لإرضائه وطاعته والسير على دربه ودرب معابده وكهنته.

وفى صلاية الملك نعرمر[63] المحفوظة بمتحف القاهرة المرحلة الأخيرة من الوحدة، ومظهراً آخر للصراع والإضطهاد الدينى.

الصراع والإضطهاد والأدوار السلبية والإيجابية فى مرحلة الإستقرار وتكوين الجماعات الأولى نواة الأقاليم: يمكن ولو بصورة محددة تتبع الظروف التى أدت إلى تكوين الأقاليم فى مصر منذ عصر ما قبل التاريخ، فقد تمت الخطوة الكبرى بإنتقال

---

[61] محفوظة بمتحف اللوفر

[62] والملك العقرب هو آخر ملوك الأسرة صفر وقام بمرحلة هامة فى توحيد مصر قبل نعرمر "مينا"، وتعرف هذه المقمعة بمقمعة الملك العقرب وهى من الحجر الجيرى ذات شكل كمثرى ترتفع حوالى 32سم عثر عليها "بهراكونوبوليس" بالكوم الأحمر وهى الأن فى المتحف الأشمولى بأكسفورد.

[63] باسكال فيرنوس، جان يويوت، *موسوعة الفراعنة (الأسماء والأماكن والموضوعات)*، ترجمة محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ط 2، 2001، ص 254-255.

الإنسان من مرحلة الصيد التى تمثله كجامع للطعام إلى مرحلة الزراعة التى تمثله كمنتج لطعامه فقد أدى هذا الإنتقال إلى إحتراف الزراعة وإلى الإستقرار وتكوين الجماعات فى هيئة أسر منفصلة[64]، إستقر كل منها فى مكان خاص به. ونظراً لتعدد أفراد الأسرة الواحدة وقصوة الظروف الطبيعية ظهرت الحاجة إلى وجود قواعد محددة وعلى الجميع إتباعها لفض ما قد ينشأ من منازعات بين أفراد الأسرة وتحقيق حاجة الإنسان للأمن وهكذا ظهرت القوانين (فى صورة تقاليد أسرية وأعراف)، وحرص الرجل على إرتباط باقى أسرته به، وإستقرارهم معه فأصبحت الأسرة أكثر إلتصاقاً وإلتفافاً حول رئيسها المسؤل عن حمايتها، وهو عادة ما يكون الأب، ويحل محله فى غيابه أو ضعفه أقوى الذكور فى الأسرة، وبمرور الوقت أصبحت الأسرة أكبر حجماً وتفرعت منها جماعات من الأسر ترتبط ببعضها عن طريق روابط الدم فإنتقلت بذلك من مجتمع الأسر إلى مجتمع العشيرة التى تنحدر من جد واحد، فقد أتى تكوين العشائر بنتائج جديدة، فوجود العشيرة مفروض فيه حتماً وجود إجتماعات تعقد بين رؤساء الأسرات فيجتمع لتقرير مصلحة مشتركة وهم بذلك يتحدون معاً للمحافظة على سلطانهم المتبادل ويؤلفون مجلساً يمثل فيه كل عضو أسرته، على أن ذلك التمثيل لا يدل على أن العضو المعنى هو أقوى فرد فى أسرته بالضرورة، ولكن يدل على أنه الوالد فحسب، ومن ثم تكتسب السلطة الأبوية بهذه الصورة صبغة خلقية، هذه الصورة لا يرجع أصلها لقوة ولكن للتشريع، فكل خلاف ينشأ داخل الأسرة يفصل فيه الأب بسلطان لا ينازعه فيه أحد، ولكن إذا قامت منازعات بين الأسر نفسها فليس لإنسان ما السلطان الكافى للفصل فيه، ومن ثم تحتم إشتعال نار الحروب الداخلية بين الأسرات، فتم إنشاء مجلس الأسرات للتوسط فى حل المنازعات فكان هذا المجلس يفتقد لأى سلطة مباشرة على الأسرات، لذا كان يلجأ إلى العاطفة الدينية لمساعدتهم فى مواجهة ما يقع لهم من نزاع دينى، فهذه العاطفة ترجع فى أصلها إلى قرابة الدم الموجودة بين أعضاء العشيرة والأفراد الذين هم على الفطرة ولهم آراء دينية يعتنقونها، فهم يحبون قوى الطبيعة ويهابونها، ويخافون الموت ويخشون بأس الأموات وبخاصة موتاهم، وذلك لأنه من بين هؤلاء الأموات الجد الأول للعشيرة، أى الفرد الذى ينحدر منه المجتمع ويتعبد إليه كل نسله، ويرضى سلطانه ليسود السلام بين أفراد الأسرة، فبإسمه تعقد المجالس بين رؤساء الأسرات المكونة للعشيرة، ويحتكمون إلى إعماله عند نشوب أى نزاع أو قيام أى عداء بينهم، ومن ثم يتضح أن عبادة الجد ليست هى المنبع الأصلى للتشريع بل هى تصديق للقانون والعرف، وإرتباط الأسر وإنحدارها من جد واحد أو جدة واحدة، فمن جماعات تلك الأسر تكونت العشيرة ومن مجموع العشائر تكونت القبيلة، فلما كانت القبيلة فى الأصل هى جماعة من الناس يرتبط أفرادها ببعض برابطة الدم ثم الدفاع عن النفس والمصالح المشتركة وتنظمها

[64] زكية طبو زادة، *محاضرات فى تاريخ مصر القديم وسوريا الكبرى*، جامعة عين شمس، القاهرة 1996،ص 6.

أعراف وإلتزامات، وعلى هذا كان لابد لأفرادها أن يعتنقوا ديانة واحدة فضلاً عن عبادة جدهم الأكبر، وهذه الديانة إما أن تكون ديانة عشيرة أقوى من العشائر الأخرى داخل نفس القبيلة وإما أن تكون ديانة جديدة أُخذت عن قبيلة أخرى أقوى أو عبادة إحدى قوى الطبيعة وهكذا فإننا (نلمح بدايات التعصب والصراع والإضطهاد حيث الإنتماء للديانة والمعبود يكون عن طريق القوى)، وهكذا اتسع مفهوم الدين ووضع فى مرتبة أعلى من الجد المقدس عند العشيرة بإتخاذ إلهاً آخر أعظم منه قوة ويسيطر على كل القبيلة، ذلك لأن نفوذه أعظم إنتشاراً وبالتالى يكون أكثر قبولاً من جميع العشائر المكونة للقبيلة الواحدة، عنئذ يكون القانون الذى ترتكز عليه العبادة قد خطى خطوة عظيمة وإمتد سلطانه إلى كل الذين يتعبدون إلى نفس الإله، وبوصول الإنسان إلى مرحلة تكوين القبيلة إستلزم هذا الإستقرار فى مكاناً معين محدد المعالم، خصب، غنى، فسيح يتسع لكل الأفراد، إستلزم هذا أيضاً الدفاع عن المكان (الموقع) وإستغلال موارده، وبهذا يضاف إلى عوامل رابطة الدم والدين التى إستلزمت تكوين القبيلة، وتنظيم شؤنها برئاسة كبير منها يعلو سلطانه على سلطان رب الأسرة والعشيرة، وكما كان للأسرة والعشيرة رئيس، أصبح للقبيلة أيضاً رئيس قوى يدين له الجميع بالطاعة ويأتمرون بأمره، وكان عليه واجبات أهمها حماية مجتمعه وتنظيم علاقات الجوار بين أفراد القبيلة وأفراد القبائل الأخرى القريبة التى تتداخل مصالحهم، وهكذا أدى تكوين العشيرة إلى نشأة القرية ومن إتحاد القرى نشأت المدينة[65].

أصل الإقليم وتكوينه: المدينة فى مصر قديمة قدم الكتابة المصرية على أقل تقدير، وهذا لأن المخصص قدر به المصريون أسماء المدن كان على شكل مدينة مسورة تقاطعت طرقها، ، ، تستخدم كعلامة تصويرية فى كتابة بعض الكلمات الدالة على المقاطعة أو الإقليم، وترجع لعصر الدولة القديمة[66]، ومنذ ذلك الحين والحضارة ترتبط بالمدن إرتباطاً وثيقاً، وكان الفراعنة عموماً من مؤسسى المدن[67]، وتدل المعلومات الأثرية على أن مصر كانت مقسمة إلى أقسام إدارية منذ عصر ما قبل

---

[65] زكية طبوزادة، *التاريخ المصرى القديم من البداية إلى نهاية الدولة الوسطى*، ط2، القاهرة 2010، ص ص 82-86.

[66] Engelebach, *Introduction to Egyptian Archaeology*, Cairo, 1946, p.65.

[67] أنشأ الملك مينا الجدار الأبيض "إنب حج" ميت رهينة الحالية، والملك "أمنمحات الأول" أنشأ (إيثت- تاوى) بالقرب من اللشت، كما أنشأ الملك "أخناتون" مدينته المسماه "آخت آتون" تل العمارنة الحالية، وأنشأ أيضاً "رمسيس الثانى" مدينته "بى رمسيس" بشرق الدلتا" وفى العصر المتأخر أنشأ الأسكندر الأكبر مدينة الأسكندرية. وبهذا يكون تخطيط المدن فناً مصرياً أصيلاً وسبقاً حضارياً مبكراً.

الأسرات، مما يدل على أن التقسيم الإدارى والسياسى الذى ظهر فى العهد التاريخى كان على الأرجح معملاً به قبل ظهور الكتابة.

فقد وجد أن الشارت التى أعتبرت فى عصر الأسرات للأقاليم المصرية، مرسومة على أوانى عصر ما قبل الأسرات، وقد ظلت هذه الشارات طوال فترة التاريخ المصرى القديم تدل على نفس الأقاليم التى رمزت لها رغم ما حدث فى البلاد من تقلبات (سياسية وتغيرات إدارية وإجتماعية ودينية). هذه الشارات الدالة على مختلف الأقاليم كان كلاً منها فى الأصل شارة لعشيرة أو قبيلة سكنت وادى النيل فى عصر ما قبل التاريخ، وكانت إما صورة لحيوان أو أى شىء آخر يدل على مظهر من مظاهر الطبيعة التى لجأ الإنسان لعبادتها فى بدء الأمر[68]. ففى بداية عصر ما قبل التاريخ كانت مصر مقسمة إلى عدة أقاليم فقد أطلق المصرى القديم على الإقليم كلمة (سبات) spAt[69] وتعنى قسماً، ونفس رموز كتابتها بالمصرية القديمة تدل دلالة واضحة على معناها[70].

ومن النتائج الهادفة من البحث: دور الإنتماء الدينى فى تكوين المجتمعات فى عصور ماقبل الكتابة "الأسرات"، دور الإنحياز والتعصب والآثار السلبية للإضطهاد الدينى وعلو شأن إله عن إله آخر كان أكثر شيوعاً، ونشأة الحروب بين الأقاليم، الإضطهاد الدينى ودوره الإيجابى فى بدايته وتوحيد الشمال والجنوب، الآثار السلبية المتعددة والتى لم تظهر بشكل مفاجىء وإنما نشأت تصاعدياً ثم تستقر، ثم تعود وتتلاشى تدريجياً فتستقر، إلى أن وصلت ذروتها وتبادلها بين الحكام والكهنة

---

[68] Silvo Curto, "Standarten", *LÄ* V, 1255-1256.

[69] سليم حسن، *مصر القديمة*، ج 1، القاهرة ، 2000، ص 169.

[70] هى عبارة عن شكل مستطيل قسم بخطوط متوازية أخرى عامودية عليها، وقد وجد عدد كبير منها مرسوماً أيضاً على فخار عصور ما قبل الأسرات، كما وجدت إحداها على (لوحة نعرمر) أول ملوك الأسرة الأولى، وفى نصوص (متن) من الأسرة الثالثة، ومناظر الأقاليم التى تزين جدران معبد الوادى للملك "سنفرو" من الأسرة الرابعة بدهشور، كذلك مجموعات التماثيل التى عثر عليها فى معبد الملك "منكاورع" بالجيزة، وهى عبارة عن مجموعات من التماثيل الثلاثية فكل مجموعة تمثل الملك وبجانبه إله أو إلهة وشخص ثالث على رأسه رمز الإقليم، وللأسف لم يعثر منها إلا على أربع مجموعات كاملة ثلاث منها محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة والرابعة هى الموجودة بمتحف بوسطن، كما عثر على بعض قطع من مجموعات أخرى، ومن عصر الأسرة الثامنة وجدت قائمة كاملة لإقليم الوجه القبلى وعددها 22 إقليماً هذا بالإضافة إلى القوائم الكاملة لأقاليم الوجهين القبلى والبحرى فى معبدى "سيتى الأول" و "رمسيس الثانى" بأبيدوس، قائمة ثالثة من معبد الكرنك هذا بالإضافة إلى أسماء المدن التى وردت فى النصوص المختلفة من كافة العصور المصرية القديمة.